(189)

دليل المناضل : خلوصيات الاقطاعية المغربية

(15cc)

عرفت الطبقة الاقطاعية في مرحلة من مراحل تطور المجتمعات، كطبقة من الملاكين الكبار يسيطرون على الارض كوسيلة أساسية للانتاج، ويستولون على السلطة السياسية بقوة السلاح. أما علاقتهم بالمنتجين فتكون مطبوعة بروابط العبودية، وتتسم بالاستغلال البشع والمباشر، فالقن" الذي يقوم بمجموع الخدمات الفلاحية لصالح الاقطاعي لا ينال إلا نسبة ضئيلة من المنتوج (الخمس مثلا) كما أنه مرغم على الطاعة العمياء للاقطاعي، حيث يعتبره هذا الاخير ملكية خالصة له. ففي حالة بيع الارض مثلا، فان الاقطاعي يبيع الارض ومن عليها..

ومن الناحية الايديولوجية، فان الاقطاعية تعتمد من جهة على استعمال الدين وتحريفه بالشكل الذي يخدم مصالحها، ومن جهة ثانية الاعتماد على العرق والنسب كوسيلة لتبرير سيطرتها الاقتصادية والسياسية.

أما طبيعة الدولة الاقطاعية، فلقد كانت تاريخيا ملكية مطلقة تكون وتحرس مصالح الطبقة.

وفي إطار هذا التعريف العام : ما هي خلوصيات الاقطاعية المغربية؟

لقد تولد النظام الاقطاعي في المجتمع المغربي عن تطور مجتمع المشايعة البدائية عندما كانت "الجماعة" تسلم في حالات خاصة (الحرب مع القبائل المجاورة) كل السلطات إلى "الشيخ"، المنتخب مبدئيا لتسيير أمورها ديموقراطيا. "فلقد حدث أن هذا الاخير استغل استسلام هذه السلطة لصالح تركيز نفوذه وذلك بشتى الوسائل، منها :

- استعمال عائلته كخلفاء ومقدمين وأعوان.
- اقطاع أراضي شاسعة من ارض الجماعة واستغلالها بتعبئة افراد الدوار إجباريا لحرثها وزرعها وحصدها لصالحه (التويزة الاقطاعية).
- مفاوضة العدو في المهادنة مقابل اعانة قصد تعزيز سلطته".. (1)

④ ..."وهكذا فقدت الجماعات سلطتها الاساسية وا لبحت مستغلة من طرف الاقطاعيين، وا لبحت العلاقة بين الافراد من علاقة حرة مبنية على المصالح المشتركة والتضامن، الى علاقة مبنية على استغلال الانسان للانسان، وعلى خنوع الاغلبية لكمشة من المستغلين"... (1)

ومن خلال سيطرتها الاقتصادية تمكنت الاقطاعية من ايجاد ~~نظام اقطاعي مبني على الحزن~~ سلطة أمر كزية سياسية: "المخزن" كدعامة سياسية ~~للحياة~~ تمكنها من الدفاع عن مصالحها.

ولقد تميزت الاقطاعية المغربية بخصوصيات - فرضتها الظروف التاريخية للمرحلة - طبعت سلوكها وحددت صفاتها. ومن هذه الخصوصيات نذكر النقاط الاساسية التالية:

(1) : الاتحاد الوطني للقوات الشعبية: الوضعية الاجتماعية في البلاد المغربية (1967).

● استعمال الدين الاسلامي من طرف الطبقة الاقطاعية، لم يسمح لها بايجاد هياكل قارة، على غرار شقيقتها في اوروبا. وكان الانحراف والفساد الذي يلبس الاقطاعيين الحاكمين يدفع بالشعب الى محاربتهم من أجل تلحيم الانحراف. لكن غالبا ما حدث أن الانتفاضات الشعبية التي تقوم ضد سلطة المخزن، يحولها زعماؤها عن مجراها الاولي، حيث يتحولون هم أنفسهم الى اقطاعيين بمجرد قلب الحكم القائم والاستيلاء على السلطة. وشكل هذا عاملا أساسيا في عدم استقرار الدولة الاقطاعية.

وهكذا عرفت البلاد ~~سلسلة من الدول الاقطاعية حلقة مفرغة دامت عدة~~ قرون ~~تعاقبت فيها الدول الاقطاعية~~ حلقة مفرغة توالت فيها السلالات الاقطاعية، وطبعت سلوك الاقطاعية المغربية بطابع الفوضى والدمار، كما قاسى منها الشعب من كل انواع التنكيل والاستبداد.

● أما بالنسبة لمقاييس "النسب" (النبلاء) فكانت مرتبطة مباشرة بالمفهوم الديني، اي الانتساب الى عائلة النبي. وكان الاقطاعيون يجتهدون في ايجاد نسب وهمي يمكنهم من فرض سيطرتهم. فالعائلة "الشريفة" كانت معفية من كل انواع الضرائب، ولها حق اقتطاع الاراضي، كما أنها تنظم جمع الهدايا اجباريا من عند كافة السكان ("الزيارة").

● وفيما يخص علاقة الاقطاعي "بالخماس" (الفلاح) فهي نفس علاقات الاستغلال البشع التي عرف بها النظام الاقطاعي، إلا أن ~~الخماس~~ الاقطاعي المغربي لم يكن له حق قانوني في بيع الخماس بمناسبة بيع الارض. لكن من الناحية العملية فإن الخماس يبقى مفقرا للاستغلال في نفس الارض لصالح المالك الجديد، ذلك أنه لا يمتلك إمكانية العيش بشكل مستقل. يبقى اذن هذا الجانب القانوني مجرد جانب شكلي.

● وهناك ميزة اساسية عند الاقطاعية المغربية ~~وهي أنها~~ تتمثل في كونها قد تحكمت في بناء وتطور المدن، على عكس ما جرى في اوروبا مثلا.

فالحرفيون والصناع لم يتمتعوا بتطور ذاتي مستقل، بل كانوا باستمرار تحت رحمة ~~الاقطاعية~~ الدولة الاقطاعية التي تتحكم في اوضاعهم من خلال فرض الضرائب من جهة، ومن جهة ثانية، ومع سقوط الدولة الحاكمة وبروز سلالة جديدة، تهيأ لكل اوضاعهم بالافلاس، فلا يتحقق ذلك التراكم الحرفي

الذي يشكل بوادر التطور نحو النظام الرأسمالي.

وخلاصة القول أن الاقطاعية المغربية، هي في نهاية الأمر أكثر فظاظة وقساوة من الاقطاعية "الكلاسيكية". (ويمكن تعميم هذه الوصف على مناطق اخرى في الوطن العربي).

فلقد ~~لعبت دورا اساسيا~~ تميزت بطابع الفوضى والاستبداد ولعبت دورا سلبيا اساسيا في حبس تطور المجتمع المغربي وشده الى الخلف.

EN GRAS

وهذا ما جعل الجماهير الشعبية تقاوم باستمرار هذه الطبقة وتطعن مشروعية سلطتها.

* وفي الوقت بالذات الذي بدأ فيه التطور الاقتصادي والاجتماعي يرفع الصراع بين المستغلين والمستغلين، وبأخذ صبغة يبرز فيها قوات اجتماعية يمكنها، بعد تجربة ان تعي ظروفها وتتزعم حركة التحرر، في هذا الوقت دخل المستعمر البلاد ليحسم الموقف لصالح الاقطاعية (خاصة بعد انهاء مرحلة "التهدئة") وذلك عن طريق تحالفه مع هذه الطبقة، حيث لعب دورا أساسيا في تركيز سيطرتها الاقتصادية والسياسية.